أدبُ حوارِ إبراهيم عليه السلام مع أبيه, في سورة مريم

Dialogue Politeness of Prophet Abraham (peace be upon him) with his father in the Quran chapter of Marium

إعداد :

د. عبد اللّطيف أحمد يعقوب محمّد، جامعة الشرق للعلوم والتكنولوجيا ـ كسلا ـ

gmrya41@gmail.com

هذا البحث يتناول الحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام مع أبيه, كما نقله القرآن في سورة مريم, وهو حوارٌ تجلت فيه معاني الحق بصورةٍ واضحة, مع أدبٍ جمٍّ في الحوار بين الابن وأبيه, على اختلاف العقيدة. ولقد أقام إبراهيم عليه السلام الحجّة, ورتّب الأمور بحسب أولوياتها, فبدأ بالعقيدة, ثم بيان أهميّة العلم في حياة الإنسان, فبه يسير الانسان على طريق النجاة, وبيان خطورة الشيطان على الانسان, وبيان مآل مَنْ لم يحقق العبوديّة لله, فالنار مصيره وهي حسبه، وقد اتّبع الباحث المنهج الوصفي التّحليلي. **وخلصت الدراسة إلى نتائج مهمة, منها:** أن المحاور الناجح هو من يأخذ بالحكمة والموعظة الحسنة, ويعمد إلى الإقناع بالحجج العقليّة, ويبتعد عن إثارة الآخر. **وبناء على النتائج تقدم الدراسة التّوصيات التّالية:** العمل على تنمية ملكة الاستدلال العقلي لدى الناشئة, من خلال المناهج الدّراسيّة. ضرورة الاستفادة من القصص القرآني, لاستخلاص ما فيها من عظات وعبر, فالأمة أحوج ما تكون لذلك أن يضطلع المربون بدورهم في التّربية بالقدوة الحسنة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كلمات مفتاحية: يا أبت, صراطا سويّا, لا تعبد الشيطان, سلام عليك, سأستغفر لك ربي, وأعتزلكم.

Abstract

This research paper discusses the dialogue between the prophet Abraham(peace be upon him) and his father as revealed in the Quran chapter of Marium. Prophet Abraham convincingly attacked his father's argument and prioritized matters well. The research aimed to explain the importance of polite dialogue in Islamic invitation. The researcher used the descriptive analytical method for data collection and analysis. The study has come out with the following most important results: a person in a dialogue should be wise enough and decent enough and seek to convince others by using strong evidence. a person in a dialogue should respect others and avoid underrating them . Based on the results above, the study forwards the following recommendations: school syllabus should involve developing students' capabilities in using evidence in dialogue , it is important to take and learn lessons from these tales. parents should bring up children using wisdom and polite dialogue.

Key words : Oh father , straightway , don't worship the devil ,peace upon you, ask God forgiveness for you , isolate you

بسم الله الرّحمن الرحيم

وصلى الله وسلّم على سيدنا محمّدٍ في الأولين والآخرين

مقدمة

لقد حفل القرآن الكريم بقصص كثيرة قصّها الله تعالى عن أخبار الماضين من الأمم والأنبياء, وما كان بينهم من محاورات ومساجلات, حتى يتفكر الإنسان ويستفيد من عبرها ودروسها, { فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الأعراف : 176], وقصص القرآن معتمدة على الحقائق, لا دخل للخيال فيها, ولذلك تستولي على وجدان قارئها, وتُحدث التأثير المطلوب, وتحقق الغايات المرجوّة.

إضافة لذلك فهي موعظة للمؤمنين يزدادون بها إيمانا وثباتا على الحق, {وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} [هود : 120].

والحوار القرآني له مزايا خاصّة, لا توجد في غيره من القصص, قال الشيخ عبدالكريم الخطيب رحمه الله: وللحوار في القصص القرآني سمة خاصّة لا تجد لها أثرا في القصص الأدبي على الإطلاق, وهي تلك الذّاتية التي يحتفظ بها هذا الحوار لشخصيّات المتحاورين, ذلك أننا في القصص القرآني لا نجد فرصة أبدا نتفلت بها من هذا الشعور الذي يستولي علينا من أننا إزاء شخصيات واقعيّة لها وجودها الذاتي ولها منطقها وتفكيرها, ولها منزعها وإرادتها في المواقف التي تَقِفُه في الحدث, وفي الأسلوب الذي تعبّر به عن موقفها دون أن تستشعر بأنّ ملقنا يلقنها من ورائها أو يحركها الحركة التي تؤديها فيه, ولعلّ أوضح مثال لهذا, الحديث الذي حكاه القرآن على لسان الهدهد في موقفه مع سليمان, حيث لا يشعر القارئ أو المستمع أنه في مواجهة حيوان أعجم, وأن هذه الكلمات التي نقلت عنه ليست إلا تخييلا أو تعبيرا عن واقع الحال, وإنما تشعر شعورا صادقا بأنّ هذا الحيوان قد نطق فعلا بهذه الكلمات, وأن ما نطق به إنما كان تعبيرا صادقا وتصويرا صحيحا لمشاعره ومدركاته, وأن كل كلمة قالها إنما هي منه عن علم وفهم ووعي, {فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24)} [النمل : 22 - 24] [27].

أهداف الدراسة

1/ بيان أنّ الخير والفلاح في تحقيق التّوحيد الخالص لله ربّ العالمين, وذلك هو السبي للأمن والطمأنينة, والعيشة السعيدة, {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام : 82].

2/ بيان أهميّة الحوار في القصص القرآني ودوره في الاقناع.

---

[27] / القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف, عبد الكريم الخطيب, دار المعرفة للطباعة والنّشر, بيروت, ط 2, 1395هـ 1975م, ص 129/ 130.

3/ التحلي بالصبر من شيم الدّعاة الصادقين, وذلك ما أمر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف : 35].

4/ تعليم الدّعاة منهجيّة الحوار مع المخالفين من خلال قصص الأنبياء.

أهميّة الدِّراسة

تنبع أهميّة الدراسة لتعلقها بقصص القرآن, وكما هو معلوم فإن قصص القرآن للعظة والعبرة, {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [يوسف : 111], وفي وقوفنا على قصص القرآن وأخذ ما فيها من دروس وعبر عمل بالقرآن وتطبيق له في واقعنا, وتعقل له وتدبر, {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد : 24].

كما أنّ كثيرين أصبح ارتباطهم بالقدوات ضعيفا, ما جعلهم يتنكبون الطريق, وأنبياء الله قدواتنا, وقد أمر الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلّم أن يقتد بمن سبقه من النبيين, {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ} [الأنعام : 90].

ولإبراهيم عليه السلام مكانة عندنا معشر المسلمين, فعلى ملته نتعبد الله, {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء : 125], وكمال الأسوة به, {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [الممتحنة : 4].

المنهج المتّبع في الدراسة

أتّبعت في هذا البحث, المنهج الوصفي التحليلي.

أسباب اختيار الموضوع

تضافرت عدّة أسباب لاختيار الموضوع منها:

1/ اعتداد البعض من شبابنا بالكافرين وجعلهم قدوة, وهذا يتناقض مع عقيدتنا.

2/ سوء العلاقات بين بعض الآباء والأبناء, فيكون في عرض القصّة حافز للاقتداء بالخيرين الذين هدى الله.

3/ ضعف الحوار مع المخالفين, مما تسبب في عدم إقناعهم.

4/ حاجة المحاور النّاجح للصفات التي يستطيع بها إقامة الحجة بالبراهين العقليّة.

هيكل الدراسة

تتكون الدراسة من: تمهيد و تقدمة عن سورة مريم, وذكر إبراهيم عليه السلام ومكانته, وبيان الخلاف في اسم أبيه, وبيان الحوار لغة واصطلاحا, ثم النّداءات الأربعة التي حاور بها الخليل والده, و الخاتمة وتشمل النّتائج والتّوصيات.

المبحث الأوّل: تقدمة عن سورة مريم.

سورة مريم من السور المكيّة, سميّت بذلك لأن قصتها أدل ما فيها على تمام القدرة، وشمول العلم[28], جاء في: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: السّورة مكِّيَّة إجماعاً. وعدد آياتها تسع وتسعون. وكلماتها أَلف ومائة واثنتان وتسعون. وحروفها ثلاثة آلاف وثمانمائة واثنان.

ولها اسمان: سورة كهيعص؛ لافتتاحها بها، وسورة مريم، لاشتمالها على قصّتها مفصّلة [29] .

تسع وتسعون آية في العد المدني الآخير, وفي العد المكي, وثمان للباقين.

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ يَزِيدَ بْنِ قَيْسٍ، سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالكَهْفِ، وَمَرْيَمَ، وَطه، وَالأَنْبِيَاءِ: «إِنَّهُنَّ مِنَ العِتَاقِ [30] الأُوَلِ، وَهُنَّ مِنْ تِلاَدِي [31] »[32].

فيه من الفقه: إشعاره بزيادة أنسه بهذا السور وذلك يستدعي زيادة فهمه لكل منهن، وذلك لأن نزولهن متقدم [33] .

وقد سارت السورة على نهج القرآن المكي في تثبيت معاني التّوحيد, ونفي الشريك والولد عن الله تعالى, والإشارة إلى نبوّة محمّدٍ صلى الله عليه وسلّم, وبيان صدقه, ونفي ما ألصق به من تهم.

في هذه السورة دعوة الأقربين, لأنّ الوالد من أقرب النّاس للإنسان, وهذا مشابه لما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلّم في البدء بدعوة الأقربين, {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء : 214], وقد ورد عند مسلم: صحيح مسلم: عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: 214] قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا، فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ» [34].

المبحث الثّاني: التّعريف بالنّبي إبراهيم عليه السّلام, ومكانته:

---

[28] / مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور, إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط' مكتبة المعارف الرياض, 1408هـ 1987م, (2/ 257).

[29] / بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز, مجد الدين أبو طاهر محمد يعقوب الفيروز آبادي, الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة لجنة إحياء التراث الإسلامي, القاهرة, 1996م, (1/ 305).

[30] / العتاق: جمع عَتيق، وهو كلُّ ما بلغ الغاية في الجودة, مصابيح الجامع, محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد، المخزومي القرشي، بدر الدين المعروف بالدماميني، وبابن الدماميني, اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب, الناشر: دار النوادر، سوريا, الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م, (8/ 266).

[31] / التلاد: أي: ما حفظته من القرآن قديمًا، والتِّلادُ ما كان قديمَ المِلْك، والطارف: ما كان حديثَ الملك, مصابيح الجامع (8/ 266).

[32] / الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري, محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي, تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر, الناشر: دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، 1422هـ, بالرقم4994, (185/6), كتاب فضائل القرآن, باب تأليف القرآن.

[33] / الإفصاح عن معاني الصحاح, لمحمد بن هبيرة بن محمد, تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد, دار الوطن, 1417هـ (2/ 87).

[34] / المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري, تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت, بالرقم205, (1/ 192), بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: 214].

هو إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن أسرغ بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح.

ذكر كثيرون من علماء السير أن والد إبراهيم عليه السلام اسمه تارح, أو تارخ [35], بينما ذكر القرآن الكريم, والسنّة المطهرة أنّ والد إبراهيم عليه السلام اسمه آذر, {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الأنعام : 74], وجاء في السنّة, عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لاَ تَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لاَ أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لاَ تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: " إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ "[36].

والصحيح أنّ آزر هو أبو إبراهيم، لوروده في الآية وهو نص قطعي صريح لا يحتاج إلى اجتهاد، ورجح ذلك الإمام ابن جرير ، أما ما ورد عَنْ عَلِيٍّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ، وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي»[37], فالحديث يفيد طهارة سلسلة نسبه صلى الله عليه وسلم فقط، ولم يتعرض للكفر والإسلام في آبائه، ولا يلزم من كفر آزر أن يكون نكاحه سفاحا.

قال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله: فأولى القولين بالصواب منهما عندي قولُ من قال: "هو اسم أبيه"، لأن الله تعالى ذكره أخبر أنه أبوه، وهو القول المحفوظ من قول أهل العلم، دون القول الآخر الذي زعم قائلُه أنه نعتٌ.

فإن قال قائل: فإن أهل الأنساب إنما ينسبون إبراهيم إلى "تارح"، فكيف يكون"آزر" اسمًا له، والمعروف به من الاسم"تارح"؟ قيل له: غير محال أن يكون له اسمان، كما لكثير من الناس في دهرنا هذا، وكان ذلك فيما مضى لكثير منهم, وجائز أن يكون لقبًا يلقّب به [38] .

---

[35] / البدء والتاريخ, المؤلف: المطهر بن طاهر المقدسي, الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد, (47/3), المسالك والممالك للبكري, أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي, الناشر: دار الغرب الإسلامي, 1992 م, (1/ 100), قصص الأنبياء, أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي, تحقيق: مصطفى عبد الواحد, الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة, الطبعة: الأولى، 1388 هـ - 1968 م, (167/1).

[36] / صحيح البخاري بالرقم3350, (4/ 139), بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء: 125].

[37] / المعجم الأوسط, سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي ، أبو القاسم الطبراني, تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد , عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني, الناشر: دار الحرمين - القاهرة بالرقم4728, (5/ 80), قال الهيثمي: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، صَحَّحَ لَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ, مجمع الزوائد ومنبع الفوائد, أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي: تحقيق: حسام الدين القدسي, الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة, عام النشر: 1414 هـ، 1994 م, (8/ 214).

[38] / جامع البيان في تأويل القرآن, محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري, تحقيق: أحمد محمد شاكر, الناشر: مؤسسة الرسالة, الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م, (11/ 468,496).

كان إبراهيم عليه السلام مؤمنا بالله منذ صغره, ومع أنّ والده كان مشركا, يصنع الأصنام ويبيعها, ما عبد الأصنام, {وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ} [الأنبياء : 51],

قال البغوي رحمه الله: رشده من قبل، أي هداه من قبل البلوغ، وهو حين خرج من السرب وهو صغير، يريد هديناه صغيرا كما قال تعالى ليحيى عليه السلام: وآتيناه الحكم صبيا [مريم: 12] ، وكنا به عالمين، أنه أهل للهداية والنبوة [39].

فكان إبراهيم حنيفا مسلما بعيدا عن الشرك, {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [آل عمران : 67], ولذلك استحق أن يكون أمة, {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل : 120], أي إماما يُقتدى به, كقوله {قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا} [البقرة : 124][40], قال الطبري رحمه الله: إمامًا في الخير يُقتدى به، ويُتَّبع عليه [41] .

والحنيفة ملة إبراهيم عليه السلام وقد أثنى الله عليها وبيّن أن من يرغب عنها قد سفه نفسه, {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} [البقرة : 130].

ولقد كان لإبراهيم مع أبيه مواقف ومحاورات تجلّت فيها براعته وحنكته, نادى أباه أربع مرات, حمل كل نداء معانٍ جليلة, وحكم عديدة, وبدأت القصة بالتشويق, وبيان ما امتاز به إبراهيم عليه السلام من الصديقيّة, {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41)}.

قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: وُصِفَ إِبْرَاهِيمُ بِالصِّدِّيقِ لِفَرْطِ صِدْقِهِ فِي امْتِثَالِ مَا يُكَلِّفُهُ اللَّهُ تَعَالَى لَا يَصُدُّهُ عَنْ ذَلِكَ مَا قَدْ يَكُونُ عُذْرًا لِلْمُكَلَّفِ مِثْلَ مُبَادَرَتِهِ إِلَى مُحَاوَلَةِ ذَبْحِ وَلَدِهِ حِينَ أَمَرَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ فِي وَحْيِ الرُّؤْيَا، فَالصِّدْقُ هُنَا بِمَعْنَى بُلُوغِ نِهَايَةِ الصِّفَةِ فِي الْمَوْصُوفِ بِهَا، وَتَأْكِيدُ هَذَا الْخَبَرِ بِحَرْفِ التَّوْكِيدِ وَبِإِقْحَامِ فِعْلِ الْكَوْنِ لِلِاهْتِمَامِ بِتَحْقِيقِهِ زِيَادَةً فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ.

وَجُمْلَةُ إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا وَاقِعَةٌ مَوْقِعَ التَّعْلِيلِ لِلِاهْتِمَامِ بِذِكْرِهِ فِي التِّلَاوَةِ، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الْمُبْدَلِ مِنْهُ وَالْبدل، فَإِن (إِذْ) اسْمُ زَمَانٍ وَقَعَ بَدَلًا مِنْ إِبْرَاهِيمَ، أَيِ اذْكُرْ ذَلِكَ خُصُوصًا مِنْ أَحْوَالِ إِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ أَهَمُّ مَا يُذْكَرُ فِيهِ لِأَنَّهُ مَظْهَرُ صِدِّيقِيَّتِهِ إِذْ خَاطَبَ أَبَاهُ بِذَلِكَ الْإِنْكَارِ[42] .

ويكفيه من عظيم الثّناء ما قاله الله عنه: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى} [النجم : 37], نعم وفّى بأوامر الله تعالى, قال القاسمي رحمه الله:

---

[39] / معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي, أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي, تحقيق: المحقق : عبد الرزاق المهدي, الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت, ط 1, 1420 هـ (3/ 291).

[40] / محاسن التأويل, محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي, تحقيق: محمد باسل عيون السود, الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت, الطبعة: الأولى - 1418 هـ (420/6).

[41] / تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (4/ 276).

[42] / التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد», محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي, الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس, سنة النشر: 1984 هـ (16/ 112).

وَإِبْراهِيمَ الَّذِي وَفَّى أي بالغ في الوفاء بما عاهد الله عليه، كما قال: {وَإِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ}. [البقرة: 124] [43].

{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (48) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (49) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (50)} [مريم : 41 - 50].

المبحث الثّالث: الحوار لغة واصطلاحا: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الحوار لغةً:

الحَوْرُ: الرُّجوعُ إلى الشّيءِ وعَنْه. والغُصّةُ إذا انحدرت. يقال: حارت تَحُور، وأَحَارَ صاحبها. وكلُّ شيءٍ تَغَيَّر من حالٍ إلى حال، فقد حار يَحُور حَوْراً، كقول لبيد:

وما المرءُ إلاّ كالشّهابِ وضَوْئِهِ ... يَحُورُ رماداً بعد إذ هو ساطع

والمُحاورةُ: مُراجَعة الكلام. حاوَرتُ فلاناً في المنطق، وأَحَرْتُ إليه جوابا [44] .

وحاورت فلَانا محاورة وحوارا وحويرا إذا كلمك فأجبته [45] .

الحوار مُرَاجعَة الْمنطق [46]، المحاورة مراجعة الكلام عند المخاطبة، والاسم من المحاورة: الحوار والحوير [47].

وَهُمْ يَتَحاوَرُون أَي يَتَرَاجَعُونَ الْكَلَامَ. والمُحاوَرَةُ: مُرَاجَعَةُ الْمَنْطِقِ وَالْكَلَامِ فِي الْمُخَاطَبَةِ، وَقَدْ حَاوَرَهُ. [48].

---

[43] / تفسير القاسمي = محاسن التأويل (9/ 80).

[44] / كتاب العين, أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري, تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي, الناشر: دار ومكتبة الهلال, (3/ 287).

[45] / جمهرة اللغة, أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي تحقيق: رمزي منير بعلبكي الناشر: دار العلم للملايين – بيروت, الطبعة: الأولى، 1987م, (1/ 525).

[46] / المحكم والمحيط الأعظم, أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي, تحقيق: عبد الحميد هنداوي, الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت, الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م, (3/ 502).

[47] / شرح الفصيح, ابن هشام اللخمي, تحقيق: د. مهدي عبيد جاسم, الطبعة: الأولى، 1409 هـ - 1988 م, (ص: 174).

[48] / لسان العرب, محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى, الناشر: دار صادر – بيروت, الطبعة: الثالثة - 1414 هـ (4/ 218).

المطلب الثّاني: الحوار اصطلاحا: مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين بطريقة متكافئة, فلا يتأثر أحدهما دون الآخر, ويغلب عليه الهدوء, والبعد عن الخصومة والتعصب [49].

فالحوار فيه تبادل للآراء بهدف الوصول لفهم بين الأطراف المشاركة في الحوار.

المبحث الرابع: القواعد التي بنعلها إبراهيم عليه السلام حواراته:

1/ إقامة الحجة بالبرهان العقلي, {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا} [مريم : 42].

2/ الانكار والمفاصلة بعد عدم القبول, والتّوعد من أبيه, {وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ}.

3/ الاعتماد على الله تعالى مع صدق الضّراعة إليه, { وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا} [مريم : 48].

المبحث الخامس: النّداءات الأربعة لآزر:

النداء الأول: (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42)

أصله أبي، حذفوا ياء المتكلم وعوضوا عنها تاء تعويضا على غير قياس، وهو خاص بلفظ الأب والأم في النداء خاصة، ولعله صيغة باقية من العربية القديمة. ورأى سيبويه أن التاء تصير في الوقف هاء، وخالفه الفراء فقال: ببقائها في الوقف. والتاء مكسورة في الغالب لأنها عوض عن الياء والياء بنت الكسرة ولما كسروها فتحوا الياء وبذلك قرأ الجمهور. وقرأ ابن عامر، وأبو جعفر: (يأبت) - بفتح التاء- دون ألف بعدها، بناء على أنهم يقولون (يا أبتا) بألف بعد التاء لأن ياء المتكلم إذا نودي يجوز فتحها وإشباع فتحتها فقرأه على اعتبار حذف الألف تخفيفا وبقاء الفتحة [50] .

في استخدامه لياء النداء بالرغم من قربه منه, وتلطف إبراهيم مع أبيه وإن كان كافرا, وحاوره بأدب جم, يا أبت, وبدء بالتّوحيد لآنّ الأساس, {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} [النحل : 36], وهكذا في كل المواطن التي حاور فيها إبراهيم عليه السلام قومه كان يبدأ بالتّوحيد, {وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (16) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (17)} [العنكبوت : 16 - 17], {وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (50) وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51)} [الأنبياء : 50 - 51], لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يمنع عنك شيئا, وتأمل جاءت شيئا نكرة لتعم, {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (69) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (70) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (71) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (72) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (73) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (74) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (75) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (76) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (77)} [الشعراء : 69 - 77], ولا شك أن من لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا, لا يملكها لغيره.

---

[49] / الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنّة, يحي بن محمد حسن زمزمي, دار التربية والتراث, مكة, ط 1, 1414 هـ 1994 م, ص 22.

[50] / التحرير والتنوير (16/ 115).

لم تعبد؟ استفهام إنكاري, وفيه لفت النّظر إلى ما يبعث على الريبة والبحث.

قال الرازي رحمه الله: ووصف الأوثان بصفات ثلاث كل واحدة منها قادحة في الإلهية وبيان ذلك من وجوه: أحدها: أن العبادة غاية التعظيم فلا يستحقها إلا من له غاية الإنعام وهو الإله الذي منه أصول النعم وفروعها على ما قررناه في تفسير قوله: وإن الله ربي وربكم فاعبدوه [مريم: 36] وقال: كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم [البقرة: 28] الآية وكما يعلم بالضرورة أنه لا يجوز الاشتغال بشكرها ما لم تكن منعمة وجب أن لا يجوز الاشتغال بعبادتها. وثانيها: أنها إذا لم تسمع ولم تبصر ولم تميز من يطيعها عمن يعصيها فأي فائدة في عبادتها، وهذا ينبهك على أن الإله يجب أن يكون عالما بكل المعلومات حتى يكون العبد آمنا من وقوع الغلط للمعبود, وثالثها: أن الدعاء مخ العبادة فالوثن إذا لم يسمع دعاء الداعي فأي منفعة في عبادته وإذا كانت لا تبصر بتقرب من يقترب إليها فأي منفعة في ذلك التقرب. ورابعها: أن السامع المبصر الضار النافع أفضل ممن كان عاريا عن كل ذلك، والإنسان موصوف بهذه الصفات فيكون أفضل وأكمل من الوثن فكيف يليق بالأفضل عبادة الأخس, وخامسها: إذا كانت لا تنفع ولا تضر فلا يرجى منها منفعة ولا يخاف من ضررها فأي فائدة في عبادتها. وسادسها: إذا كانت لا تحفظ أنفسها عن الكسر والإفساد على ما حكى الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه كسرها وجعلها جذاذا فأي رجاء للغير فيها واعلم أنه عاب الوثن من ثلاثة أوجه. أحدها: لا يسمع.

وثانيها: لا يبصر. وثالثها: لا يغني عنك شيئا كأنه قال له: بل الإلهية ليست إلا لربي فإنه يسمع ويجيب دعوة الداعي ويبصر، كما قال: إنني معكما أسمع وأرى [طه: 46] ويقضي الحوائج: أمن

يجيب المضطر إذا دعاه [النمل: 62][51].

نعم كان حديثه مع أبيه حديث العاقل, كيف تعبد ما تنحته وتشكله بيدك من حجر وغيره؟ ولديك

كامل العلم أنّها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر, وذلك ما أقرّ به قومه {فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ} [الأنبياء : 64], ولكن سرعان ما نكصوا على أعقابهم, {ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ} [الأنبياء : 65].ألان لوالده القول ورقق له العبارة, حتى يكسب ودّه, فيرجع لصوابه, ويقبل دعوته.

النداء الثّاني: {يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43)}

وفيه أدب جم, ما أغلظ عليه ولم ينعته بالجهل, وإنما قال له: إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك,

قال الزمخشري رحمه الله: ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترفقا به متلطفا، فلم يسم أباه بالجهل المفرط، ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال: إن معى طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك، وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف، وهب أنى وإياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك، فاتبعنى

[51] / مفاتيح الغيب = التفسير الكبير, أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي , الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت, الطبعة: الثالثة - 1420 هـ (21/ 542, 543).

أنجك من أن تضل وتتيه [52] .

في قوله: {إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ}, تأمّل: جاءني بصيغة الماضي, وقد سُبِقت ب قد, فدلّ على تحقق وقوع الآمر, ويأتك بصيغة المضارع, وهي تدل على الحدوث والتّجدد, فتبيّن بذلك الفرق الشاسع بين العلمين, فما كان عن طريق الوحي علم صحيح معتبر, وما سواه ففيه نظر.

وإنك لتعجب من صمت والده, وعدم ردّه, وكأني به قد عجز عن الدفاع, وربما ما كان يتوقع أن يسمع تلكم الكلمات من ابنه.

النداء الثالث: (يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) بيّن له عداوة الشيطان, وهذا كقوله تعالى: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [يس : 60].

قال البغوي رحمه الله: يا أبت لا تعبد الشيطان، لا تطعه فيما يزين لك من الكفر والشرك، إن الشيطان كان للرحمن عصيا، عاصيا، كان بمعنى الحال، أي هو كذلك [53] .

قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: إعادة النداء لزيادة تأكيد ما أفاده النداء الأول والثاني, والمراد بعبادة الشيطان عبادة الأصنام عبر عنها بعبادة الشيطان إفصاحا عن فسادها وضلالها، فإن نسبة الضلال والفساد إلى الشيطان مقررة في نفوس البشر، ولكن الذين يتبعونه لا يفطنون إلى حالهم ويتبعون وساوسه تحت ستار التمويه مثل قولهم {بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ} [الزخرف : 22]، ففي الكلام إيجاز لأن معناه: لا تعبد الأصنام لأن اتخاذها من تسويل الشيطان للذين اتخذوها ووضعوها للناس، وعبادتها من وساوس الشيطان للذين سنوا سنن عبادتها، ومن وساوسه للناس الذين أطاعوهم في عبادتها، فمن عبد الأصنام فقد عبد الشيطان وكفى بذلك ضلالا معلوما, وهذا كقوله تعالى: {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا} [النساء : 117][54].

النداء الرابع: {يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45)} يا أَبَتِ إِنِّي أَخافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحْمنِ لكونك عصيته ووالیت عدوّه، فيقطع رحمته عنك، كما قطعها عن الشيطان فَتَكُونَ لِلشَّيْطانِ وَلِيًّا أي مقارنا له ومشاركا معه في عذابه [55] .

بيّن له خوفه من أن يناله العذاب إذا لم ينقاد لأمر الله

---

[52] / الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل, المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله, الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت, الطبعة: الثالثة - 1407 هـ (3/ 19).

[53] / تفسير البغوي - إحياء التراث (3/ 236).

[54] / التحرير والتنوير (16/ 116).

[55] / تفسير القاسمي = محاسن التأويل (7/ 100).

وفي النداء بقوله: يا أبت أربع مرات تكرير اقتضاه مقام استنزاله إلى قبول الموعظة لأنها مقام إطناب. ونظر ذلك بتكرير لقمان قوله: يا بني [لقمان: 13- 16] ثلاث مرات، قال: بخلاف قول نوح لابنه: يا بني اركب معنا [هود: 42] مرة واحدة دون تكرير لأن ضيق المقام يقتضي الإيجاز وهذا من طرق الإعجاز» [56]

ولكن لم يكن لآزر جوابٌ مقنع, وإنما سلك مسلك الافلاس, {قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46)}, توعده بوعيد شديد, وشرط عليه أي إذا ما انتهيت وتركتني وشأني, وأكّد الشّرط بالقسم واللام, وأكّد الجواب باللام ونون التوكيد الثقيلة.

لأرجمنك, أي بالحجارة, وذلك كناية عن القتل, واهجرني أي ابتعد عني, وهو كناية عن الطرد والإبعاد, مليّا, أي زمانا طويلا.

سبحان الله إبراهيم سلك مسلك الحوار العقلي, وأقام عليه الحجة بأدب جم, على بطلان ما يعبد أبوه وقومه, فما كان من والده إلا وأن هدده وتوعّده بالرجم والإبعاد, أراد لأبيه الهدايّة, كماأرادها النبي صلى الله عليه وسلّم لعمه, ولكن, {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [القصص : 56], فازداد إبراهيم عليه السلام حلما, وبيّن له أنه لن يتعامل معه بردة الفعل, وما قطع حبل الوصل, وإنما ترك باب الأمل مفتوحا, وردّ عليه ردا جميلا, {قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47)}, سلام عليك لا أوذيك بما تكره, لا بسب ولا شتم, وإنما سأستغفر لك ربي, {وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ} [الشعراء : 86].

ولك أن تتأمّل: الآب استخدم كلمة: واهجرني, والهجر, ترك على القطيعة, بينما استخدم الابن: الاعتزال, وهي تدل على التنحي.

قال سلام عليك, لا يُفهم منها جواز السلام على الكافر, فقد نُهينا أن نبدأ الكفار بالسلام, صحيح

عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ»[57].

قال القرطبي رحمه الله:

والجمهور على أن المراد بسلامه المسالمة التي هي المتاركة لا التحية [58].

---

[56] / التحرير والتنوير (16/ 114).

[57] / المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري, تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت بالرقم2167, (4/ 1707), كتاب السّلام, باب النّهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسّلام, وكيف يُرَدُّ عليهم.

[58] / الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي, أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي, تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش, الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة, الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م, (11/ 111).

ولكن لما عاند وأصر تبرّأ منه, {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} [التوبة : 114], نعم تبرأ منه فورا, {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ} [الزخرف : 26].

وفي هذا إشارة إلى قضية مهمة, وهي قضية الولاء والبراء, وأنّه ليس للمؤمن أن يستغفر للمشرك, فلما اقتدى النبي صلى الله عليه وسلّم والمؤمنون بإبراهيم عليه السلام, واستغفروا لموتاهم المشركين {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [التوبة : 113].

{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [الممتحنة : 4].

نعم ظلّ محافظا على الثوابت, وما قبل المهادنة فيما يتعلق بأمر العقيدة, وأكد ثباته عليها ولجوئه إلى ربه بقوله: {وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (48)}, اعتزلهم وما ترك منهجه, فكان أن كافأه الله, {فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (49) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (50)}

كافأه الله بثلاثٍ:

1/ وهب له إسحق ويعقوب.

2/ جعلهما نبيين.

3/ أبقى لهما ثناء حسنا عاطرا, ويا سبحان الله, فقد أبقى الله لهما الثناء كما أبقاه لإبراهيم, {وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ} [الشعراء : 84], وصدق الله, {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} [الطور : 21].

وهكذا فإنّ حوار النبي إبراهيم عليه السلام, أوتي أكله, وأقام عليه الحجة, وتأدب معه غاية الأدب, ليكون حافزا للدّعاة إلى الله ليسيروا على خطى الخليل إبراهيم عليه السلام.

الخاتمة

هكذا جاء هذا الحوار الشّائق, والذي أقام من خلاله الخليل إبراهيم عليه السّلام, الحجّة على أبيه في أدبٍ جم, وترفق معه, وتلطف به على كفره, وفي ذلك حافز ومشجّع للأبناء ليبروا آباءهم , ويحسنوا إليهم , وللدّعاة أن يترفقوا بالمدعوين, فذلك أدعى لأن يستجيبوا, وأنّ المؤمن يجب عليه أن يثبت على الحق, وأن يحافظ على ثوابت دينه مهما كانت الأسباب, وأنّ مآل ذلك إلى خير, كما فعل الله بالخليل إبراهيم عليه السّلام بأن أنجاه من مكايدهم, وأخلف خيرا, وأبقى له ذكرا عاطرا حسنا, وآتى آله مننا ومنحا, {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا} [النساء : 54], فسلام الله على إبراهيم في الأولين والآخرين.

النتائج والتوصيات

أولا: النتائج

1/ الدّين يأمر المسلم أن يبتعد عن التّقليد في أمر العقيدة.

2/ تميّز إبراهيم بالصدق في الطرح والثبات على المبدأ, وعدم خشية الباطل.

3/ ضرورة أن يصدع الدّاعية بالحق, ويحذر من كتمانه, لأن ذلك يقود إلى اللعن والإبعاد من رحمة الله.

4/ أن يدرك الدّاعية أنّ الهداية بيد الله, فإبراهيم عليه السلام بذل جهدا كبيرا مع أبيه, لكن {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [القصص : 56].

5/ يجب على الدّاعية أن يتسلح بالعلم الصحيح, ويعرف كيف يدحض شبهات المخالفين.

ينقطع النسب بانقطاع الدين, ولا ينقطع الدين بانقطاع النسب.

6/ أهميّة الاستدلال العقلي في إقامة الحجة والاقناع.

7/ البر بالوالدين ولو كانا كافرين, والترفق بهما, وإحسان النّصح, {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا } [لقمان : 15].

ثانيا: التوصيات

1/أوصي الباحثين بضرورة الاستفادة من القصص القرآني, لاستخلاص ما فيها من عظات وعبر, فالأمة أحوج ما تكون لذلك.

2/ العمل على تنمية ملكة الاستدلال العقلي لدى الناشئة, من خلال المناهج الدّراسيّة.

3/ أن يضطلع المربون بدورهم في التّربية بالقدوة الحسنة.

قائمة المصادروالمراجع

القرآن الكريم

1/ الإفصاح عن معاني الصحاح, لمحمد بن هبيرة بن محمد, تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد, دار الوطن, 1417هـ

2/ البدء والتاريخ, المطهر بن طاهر المقدسي, الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.

3/ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز, مجد الدين أبو طاهر محمد يعقوب الفيروز آبادي, الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة لجنة إحياء التراث الإسلامي, القاهرة, 1996م.

4/ التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد», محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي, الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس, سنة النشر: 1984 هـ

5/ جامع البيان في تأويل القرآن, محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري, تحقيق: أحمد محمد شاكر, الناشر: مؤسسة الرسالة, الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

6/ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري, محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي, تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر, الناشر: دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، 1422هـ

7/ الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي, أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي, تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش, الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة, الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م.

8/ جمهرة اللغة, أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي تحقيق: رمزي منير بعلبكي الناشر: دار العلم للملايين – بيروت, الطبعة: الأولى، 1987م.

9/ الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنّة, يحي بن محمد حسن زمزمي, دار التربية والتراث, مكة, ط 1, 1414 هـ 1994 م.

10/ شرح الفصيح, ابن هشام اللخمي, تحقيق: د. مهدي عبيد جاسم, الطبعة: الأولى، 1409 هـ - 1988 م.

11/ قصص الأنبياء, أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي, تحقيق: مصطفى عبد الواحد, الناشر: مطبعة دار التأليف, القاهرة, الطبعة: الأولى، 1388 هـ - 1968 م.

12/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف, عبد الكريم الخطيب, دار المعرفة للطباعة والنّشر, بيروت, ط 2, 1395هـ 1975م.

13/ كتاب العين, أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري, تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي, الناشر: دار ومكتبة الهلال.

14/ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل, المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله, الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت, الطبعة: الثالثة - 1407 هـ

15/ لسان العرب, محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى, الناشر: دار صادر – بيروت, الطبعة: الثالثة - 1414 هـ

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد, أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي اتحقيق: حسام الدين القدسي, الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة, عام النشر: 1414 هـ، 1994 م.

16/ محاسن التأويل, محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي, تحقيق: محمد باسل عيون السود, الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت, الطبعة: الأولى - 1418 هـ

17/ المحكم والمحيط الأعظم, أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي, تحقيق: عبد الحميد هنداوي, الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت, الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م.

18/ المسالك والممالك للبكري, أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي, الناشر: دار الغرب الإسلامي, 1992 م.

19/ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري, تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

20/ مصابيح الجامع, محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد، المخزومي القرشي، بدر الدين المعروف بالدماميني، وبابن الدماميني, اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب,

21/ مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور, إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط' مكتبة المعارف الرياض, 1408هـ 1987م.

22/ معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي, أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي, تحقيق: المحقق : عبد الرزاق المهدي, الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت, الطبعة : الأولى ، 1420 هـ

23/ المعجم الأوسط, سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني, تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد , عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني, الناشر: دار الحرمين – القاهرة.

24/ مفاتيح الغيب = التفسير الكبير, أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري, الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت, الطبعة: الثالثة - 1420 هـ الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت, الطبعة: الثالثة - 1420 هـ